٩ لماذا تربطون أنفسكم بجثة

قبل أن يشكل حسن صبرى باشا وزارته . اتفق مع أحمد ماهر ، ومحمد محمود على تأليف الوزارة ، ثم ذهب – حسن صبرى – إلى السفير البريطانى ، وطلب عدم وضع العقبات فى سبيله . . فطمأنه السفير . . وشكل الوزارة يوم ٢٧ يونية ١٩٤٠ .

وفى مذكرات السفير أنه وافق على تشكيل وزارة حسن صبرى لأن الملك كان يعلم صداقة السفير بحسن صبرى منذ توليه وزارة المالية فى حكومة عبد الفتاح يحيى !

* * *

وتبدأ الحكومة فى إظهار تعاونها مع الإنجليز .

فى أول اجتماع لمجلس الوزراء يقرر المجلس دخول الحرب . . إذا وصلت القوات الإيطالية إلى مرسى مطروح . . أول وأكبر ميناء مصرى فى الصحراء الغربية .

ويصمم وزراء الحزب السعدى على دخول الحرب فوراً ، ويهددون بالاستقالة إذا لم تعلن مصر الحرب من أول جلسة !

ويذهل وزراء الحزب السعدى عندما يقبل رئيس الوزراء استقالتهم .

وتزداد دهشتهم عندما يوافق السفير البريطانى على ذلك . . فإن السفير فى ذلك الوقت تلقى تعليمات لندن بأنه من المصلحة عدم دخول مصر الحرب . . وكان رئيس الوزراء يعرف هذه التعليمات . . والسفير يعرف . . والسعديون لا يعلمون !

وبعد ٤ شهور من تشكيل الوزارة تغزو القوات الإيطالية الحدود المصرية وتغير على المدن .

ويصل أنتوني إيدن وزير الحربية في ذلك الوقت – إلى القاهرة ويستقبله فاروق بحضور السفير .

وفي أثناء الحديث «يغمز» إيدن بعينه للسفير وكأنه يقول له :

– انظر ماذا يفعل الملك .

وبعد انتهاء المقابلة يقول إيدن للسفير :

– ياصبرك ! لأنك تتعامل مع هذا الغلام . . لابد أن ذلك يرهقك وكلمة « الغمز » و « الصبر » هي الكلمات الرسمية المستعملة في لغة الحوار والبرقيات بين السفير ووزارة الخارجية في لندن . . في أثناء الحرب ! !

* * *

ويقيم السفير حفلاً كبيراً لإيدن يدعو إليه زعماء مصر . . بما فيهم علي ماهر .

ولقد تردد مايلز في دعوة علي ماهر . . فقبل ٤ شهور أصر على عزله من رئاسة الوزارة .

إن السفير يسأل أعضاء سفارته . . فيقولون له :

يجب دعوة علي ماهر . .

ويعترض السفير خشية أن يتهم بالضعف . . إذا دعاه !

ولكن رجال السفارة يصرون على دعوته . ويوافق لامبسون مضطراً من ناحية حرفية البروتوكول . . ولأن بريطانيا ، ورجالها في مصر ، يحرصون على إبقاء خيط رفيع متصل بينهم ، وبين كل زعماء مصر .

وعلى ماهر أيضاً يحرص على بقاء هذا الخيط الرفيع . .

إنه لا يحضر الحفل حتى لا يتهم بالنفاق أمام الجميع . . ولكنه – سراً – يكتب رسالة اعتذار لا يقرؤها إلا السفير . وتطل كلمات هذه الرسالة من مذكرات السفير .

قال علي ماهر إنه مريض . .

ولمس السفير حرارة الاعتذار فكتب في مذكراته يقول إنه أحس بصدق الاعتذار وأنه ليس مصطنعاً و « أخشى أن نتهم بالضعف » . . ولكن « معلهش » .

وفي برقيته لوزارة الخارجية كتب السفير كلمة « معلهش » بالحروف اللاتينية ! !

* * *

وفي حفل إيدن . . يحرص لامبسون على أن يجعل إيدن ينفرد بالنحاس أطول فترة ممكنة .

ورأى السفير أن ذلك يعتبر عملاً كبيراً في حد ذاته . . وإن لم يسفر عن نتائج محددة .

ويبرق السفير إلى لندن .

«إن اجتماع كل الزعماء المتصارعين تحت سقف صديق ومحايد . . لا يعتبر عملاً سيئاً بحال . . وهو مثل على أن الأمور يجب أن تسير على هذا النحو . . » .

. . وبهذه العبارة يكشف لامبسون عن سياسته . . أو خطة عمل بريطانيا فى تلك الفترة . . أن يجتمع زعماء مصر تحت « السقف » البريطانى . . أو فى ظل العلم البريطانى الذى يرفرف فوق دار السفارة .

. . وعندما لم يتحقق ذلك للإنجليز فإنهم – بعد حين – يريدون الهيئة الشعبية أو أغلبية الشعب . . لا أغلبية الزعماء !

* * *

ولم ينفرد إيدن بالنحاس . . وحده .

إنه انفرد أيضاً بكل زعماء مصر . .

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى التقى فيها بهم . . فقد سبق أن جاء إلى مصر – كما تقدم – وذلك فى زيارة سرية خلال شهر فبراير . . أى قبل ٨ شهور .

إن السفير يقول فى برقية سرية إلى حكومته :

إن إيدن – وزير الحربية – قال له : إن كل زعماء مصر ، واحداً بعد الآخر . . وبغير استثناء على الإطلاق . . أبلغوه أن الملك هو سبب كل المشاكل فى مصر .

وقال حسن صبرى باشا رئيس الوزراء لإيدن :

– سأدعو الملك إلى رحلة بحرية . . وعليكم الباقى يقصد عليكم إغراقه . . وقتله .

قال إيدن :

– فى فبراير الماضى كان الزعماء أكثر حرصاً . . أما فى أكتوبر فإن اتهامهم للملك كان مباشراً .

وقد وصل إيدن إلى نتيجة واحدة وهى :

– الحل . . هو طرد . . الولد . . فاروق !

أجاب السفير :

– معظمنا وصل إلى هذه النتيجة من قبل . . ولكن هذه مشكلة . . فكلما فكرنا فى تنفيذها – طرد فاروق – نشأ سبب أو آخر يمنعنا من المضى فى خطتنا .

وفى الآونة الأخيرة لم نطلق النار . . أى لم نعزل الملك – لأن حزب الوفد يرفض ، وكذلك قادة القوات البريطانية .

. . وكان الوفد قد تقدم بمذكرة للسفارة اعتبرتها الحكومة البريطانية عملاً عدائياً .

ويضيف لامبسون :

– فى رأيى أنه مادام هذا الغلام جالساً على العرش فإننا لن نلقى تعاوناً حقيقياً . . وسيبقى لدينا الإحساس بأنه متى ساءت الأحوال فإننا سنطعن من الخلف .

ويطلب إيدن من لامبسون أن يجتمع بقيادة القوات البريطانية . . الجيش والبحرية والطيران ، ويبلغهم أن إيدن وصل إلى رأى نهائى ، وهو أن هذا الولد – فاروق – يجب أن يذهب . وعندما كان فى فلسطين سمع من المندوب السامى هناك كيف أن سياستنا وتساهلنا مع فاروق أديا إلى الإساءة لسمعتنا .

وقال السفير :

– لقد سافر إيدن إلى الصحراء ، وقد طلب منى أن أسألكم الرأى ليقدم توصية بذلك عندما يعود إلى لندن . .

إنى عملت مع فاروق منذ جلس على العرش ، ووجدت أنه – فاروق – فقد صلته بالشعب وقبضته عليه بسبب تصرفاته غير المسئولة وأوهامه . . وهذا يمكن ألا نعيره اهتماماً وقت السلم . . أما فى زمن الحرب . . ونحن نقاتل دفاعاً عن حياتنا . . فإننا نخشى أن تجرفنا الظروف . . فلا نستطيع احتمال أية لدغة ! .

إننا نتوقع أن تسير الأمور فى حرب الصحراء على غير هوانا ، ونخشى أن نغامر بأن يكون فى مؤخرة قواتنا ملك يقوم بلعبة غير مخلصة لنا . . وفى كل مشكلة نواجه بما أسميه اليد الخفية التى تظهر بكل طريقة . .

إن هناك أمثلة تظهر كل يوم ، وآخرها رفض القصر أن يبعد عن مصر إيطالياً اسمه بوجولينو .

لن يكون هناك تعاون مصرى مخلص ومن القلب . . معنا . . ما بقى هذا جالساً على العرش .

ويضيف لامبسون :

– ما كنت أفكر فى إثارة مثل هذا الموضوع الذى يرفضه العسكريون لولا أن وزير الحرب هو الذى طلب منى بحثه معكم .

وقد أعلن الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط أنه يعارض عزل الملك .

وأيد قائد السلاح الجوى لونجمور وجهة نظر ويفل .

أما قائد البحرية فأعلن أنه يؤيد التصرف السريع ضد الملك .

ولم يغير الجنرال ويفل رأيه . . وقال إنه يخشى ألا تستسلم مصر ، وتساءل عما سيفعله أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة . . وزملاؤه .

ولم تسفر المناقشة عن أية نتيجة .

وماتت فكرة عزل الملك لأن بريطانيا اضطرت إلى سحب قواتها من مصر لمساعدة اليونان ضد الغزو الإيطالى .

ولكن هذا يدل على أن فكرة عزل فاروق لم تنشأ فى ٤ فبراير ١٩٤٢ . . وإنما نشأت فى أكتوبر عام ١٩٤٠ . . وكان إيدن وزير الحرب البريطانى هو أول من فكر فيها . . فى أكتوبر ١٩٤٠ . . وكان إيدن وزير الخارجية هو من ساندها وأيدها يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ .

* * *

. . خلال وزارة حسن صبرى باشا عين أحمد حسنين باشا الأمين الأول للملك رئيسا لديوان فاروق . . وبذلك زاد نفوذ حسنين . . وأصبح الرجل القوى داخل القصر . . ولكن بعد بوللى . . وجارو . . إلخ .

وبقى وكيل الديوان . . ورجل على ماهر فى القصر عبد الوهاب طلعت باشا .

. . ويكون من قرارات مجلس الوزراء . . مد امتياز البنك الأهلى ٤٠ سنة . . لصالح الإنجليز ! !

ولا تستمر وزارة حسن صبرى باشا أكثر من ٤ شهور ونصف الشهر . .

ويموت رئيس الوزراء وهو يلقى خطبة العرش . . داخل البرلمان ! !

* * *

ويجئ حسين سرى باشا رئيساً لوزراء مصر . .

مهندس مصرى ناجح . . يتمتع برضا كل الأطراف . .

دخل الوزارة لأول مرة فى أواخر عام ١٩٣٧ وزيراً للأشغال فى وزارة محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين .

وبعد عام أسند إليه محمد محمود باشا وزارة الحربية أيضاً ، فأصبح وزيراً لوزارتين .

واختاره على ماهر باشا وزيراً للمالية عام ١٩٣٩ .

وعندما استقال على ماهر استبقاه حسن صبرى باشا ليكون وزيراً للأشغال . . فهو وزير فى ٣ عهود واجهت مقدمات الحرب وبدايتها !

* * *

بدأ حياته مهندساً بوزارة الأشغال ، ولكنه ارتفع بسرعة ليصبح وكيلاً لوزارة الأشغال . .

ثم وزيراً لها . . كل ذلك خلال سنوات .

وكان يهمس لأصدقائه بأنه سيكون رئيساً لوزراء مصر فى أغسطس عام ١٩٣٩ بعد استقالة محمد محمود . . ولكن على ماهر اختير لرئاسة الوزارة . . وبعد على ماهر جاء حسن صبرى .

ولم يفقد حسين سرى الأمل فى رئاسة الوزارة . . أبداً . .

* * *

وأخيراً . .

إن حسين سرى رجل يمهد دائماً لحكم الوفد .

. . بعد وزارته الأولى جاء النحاس . .

. . وبعد وزارته الثانية جاء النحاس أيضاً .

وهو قريب للملك فاروق . . لأنه زوج خالة الملكة فريدة . .

وهو صديق لكل الدوائر الاقتصادية والمالية الغربية . . فبعد الحرب اختير رئيساً وعضواً فى مجلس إدارة ٤٠ شركة أجنبية . . فى وقت واحد !

باختصار رجل يحظى بتأييد الوفد . . وخصوم الوفد . . الملك . . ورجال القصر . . والإنجليز !

* * *

هذا هو رئيس وزراء مصر خلال ١٥ شهراً فى زمن الحرب العالمية الثانية . . حقق للإنجليز كثيراً مما طلبوه . . ولكنه فشل فى طرد الإيطاليين من القصر . . ومن حاشية الملك .

ولكن الإنجليز يتراجعون فى الصحراء الغربية .

ويبدءون الانسحاب من ليبيا إلى داخل الحدود المصرية بعد وصول روميل إلى طرابلس ، وقيادته لقوات المحور . . وبدء هجومه الكبير على الصحراء المصرية .

. . ويسرع حسين سرى إلى الجنرال ويفل يسأله عما تريده بريطانيا من الجيش المصرى فيقول ويفل :

لا شىء أكثر مما يفعله الجيش المصرى ، وهو حماية القنال ، والجسور والاستعداد فى الدلتا لصد أية غارة . . وهناك وحدة مصرية فى سيوه ستقاوم إذا هوجمت .

ويسأل حسين سرى السفير البريطانى .

– هل تريدون أن تدخل مصر الحرب .

يرد السفير :

– لابد أن أسأل لندن . . ولكن رأى قائدى البحرية والطيران : أن ألمانيا لا تفكر فى القيام بغارات فوق مصر . . وإعلان مصر الحرب قد يدفع ألمانيا للتعجيل بهذه الغارات . . والجنرال ويفل لا يريد تغييراً فى موقف مصر .

. . ولقد دفع أحمد ماهر حياته ثمناً لإعلان الحرب ضد ألمانيا برغم أن الحرب كانت قد انتهت فى أوربا ، ولكن سرى باشا ، وهو يبدى استعداده لإعلان الحرب . . فعل ذلك بلا ضجة . . وبدون إعلان . .

. . ولو أن بريطانيا رغبت فى أن تعلن مصر الحرب فى وزارة حسين سرى . . فربما تغير التاريخ المصرى كله . .

* * *

وفى وزارة حسين سرى تقوم ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وتحول بريطانيا ثلثى قاذفاتها من الصحراء الغربية المصرية إلى العراق . . ويصبح السؤال هو :

– مصر . . أو . . العراق .

والسفير البريطانى يبرق لحكومته مطالباً بالمحافظة على وضع القوات البريطانية وعدم سحبها إلى العراق . . وينصح بسحق ثورة الكيلانى وعدم قبول الوساطة أو الصلح معها . . كما يقترح الجنرال ويفل .

* * *

. . ولأسباب كثيرة تأخذ لندن برأى لامبسون .

وتتعدد مطالب بريطانيا من مصر :

● الجنرال ويفل يطلب من عبد الحميد بدوى باشا وزير المالية نقل رصيد مصر من الذهب إلى جنوب أفريقيا . . وبدوى باشا يتساءل :

– ألا يكفى نقل الذهب إلى الخرطوم .

ولكن السفير يرى أن جنوب أفريقيا هى الأفضل .

● تقرر الحكومة البريطانية تعيين وزير دولة لها مقره القاهرة ، ويكون عضواً فى مجلس وزارة الحرب البريطانية ويختار للمنصب أوليفر ليتلتون .

● يحاول الفريق عزيز المصرى الرئيس السابق لأركان حرب الجيش المصرى الهرب من مصر . . وتسقط طائرته قرب قليوب .

وفى التحقيق يقول عزيز المصرى إن ضابطاً بريطانياً طلب إليه السفر إلى العراق باعتباره صديقاً لعدد كبير من العراقيين . . للوساطة بين الإنجليز وثوار العراق .

ويبلغ حسين سرى نص التحقيق للسفير البريطانى . . الذى يطلب إليه حفظه لأن ضابطاً بريطانيًا هو الكولونيل ثورن هيل زار عزيز المصرى فعلا من وراء ظهر السفير . . !

ويحفظ التحقيق . . ويعتقل عزيز المصرى ! !

* * *

ووسط هذا كله يقيم السفير البريطانى حفلا لتعميد ابنه فيكتور . . فى الكنيسة . . ويشهد الحفل كل زعماء مصر !

. . ويعتذر على ماهر – كعادته – حتى لا يظهر علنا فى حفلات السفير . . ولكنه يرسل لفيكتور لامبسون . . ملعقة وكوزاً . . مع اعتذار رقيق !

وفى الحفل المسائى الراقص لنفس المناسبة نجد بين الحاضرين . . الأمير عباس حليم ، الذى اعتقله الإنجليز بعد ذلك فى وزارة النحاس . والأمير محمد على ولى العهد . . وأخيراً . . الأمير عمر طوسون !

* * *

وإذا كانت الأيام العشر الأخيرة فى وزارة على ماهر . . حافلة . . فإن الأيام العشر الأخيرة فى وزارة حسين سرى كانت حبالى بالأحداث والتطورات التى لم يتوقعها أحد . . لا داخل مصر . . ولا عند الحدود المصرية ! !

بل إن الموقف الحربى العالمى بدأ يتغير تماماً . .

فى الصحراء الغربية . .

بدأ روميل هجومه الكبير يوم ٢١ يناير ١٩٤٢ ضد القوات البريطانية التى كانت قد وصلت إلى العجيلة عند حدود طرابلس فى ليبيا .

ومع أن قوات روميل أقل من القوات البريطانية فإن القائد الألمانى يتمكن خلال ٨ أيام من احتلال بنغازى . . ويوالى تقدمه حتى طبرق .

وغرقت ٣ سفن حربية بريطانية كبيرة فى البحر المتوسط . . وبذلك أصبح طريق الإمدادات – عبر البحر – مفتوحاً لروميل .

وفى الشرق الأقصى تقدمت القوات اليابانية فى الملايو . . ولم يبق أمامها إلا أن تدخل سنغافورة .

واضطرت بريطانيا تحت ضغط أستراليا إلى تدعيم قواتها فى سنغافورة ، فسحبت من مصر جانباً من سلاح الطيران . . وبعض القوات . . ولكن سنغافورة استسلمت يوم ٨ فبراير وأخذ ٦٠ ألف جندى بريطانى أسرى .

وظل مجلس العموم البريطانى يستجوب تشرشل ٣ أيام كاملة من ٢٦ إلى ٢٩ يناير ١٩٤٢ حتى حصل على الثقة .. واضطر إلى تعديل وزارته لتدعيمها ومواجهة هذه الهزائم .

* * *

وفى خضم الهزائم البريطانية الضخمة . . والمتتابعة نشأت أزمة فى مصر كما تقول الوثائق البريطانية !

بدأت الأزمة فى أوائل يناير ١٩٤٢ ، ولكن تطوراتها العتيقة ظهرت فى أواخر يناير.

. . قال السير مايلز لامبسون لرئيس وزراء مصر حسين سرى باشا :

– مصر يجب أن تقطع علاقاتها فوراً بحكومة فيشى .

. . وحكومة فيشى ألفت لتحكم ثلث فرنسا . . وتستسلم للألمان . . وتقطع العلاقات مع إنجلترا .

وقيل إن السبب هو أن اتصالات فاروق بالألمان كانت تتم عن طريق بوتسى الوزير الفرنسى المفوض فى مصر . . وكذلك عن طريق مفوضية مصر فى فيشى .

وكانت الحكومة البريطانية تطارد الفرنسيين فى مصر وتعتقلهم باعتبارهم جواسيس لفيشى والألمان . . وآخر هؤلاء ريمون مستشار الفنون الجميلة بوزارة المعارف .

. . لم يتردد حسين سرى . . أبداً إزاء طلب السفير البريطانى قطع العلاقات مع فيشى .

ذهب إلى اجتماع مجلس الوزراء يوم ٥ يناير يطلب قراراً بقطع العلاقات . . وكان السفير البريطانى يؤيد الجنرال كاترو المندوب العام للجنرال ديجول فى القاهرة . . فى حين يساند القصر جان بوتسى الذى يمثل حكومة فيشى فى القاهرة أيضاً . . فقد كان لفرنسا تمثيلان متعارضان فى مصر !

اعترض مصطفى عبد الرازق باشا وزير الأوقاف . . وقال :

– إن مجلس الوزراء قبل فى نفس الجلسة استقالة وزير المالية عبد الحميد بدوى باشا . . وتكفى أزمة واحدة فى الجلسة الواحدة . .

وطلب مصطفى عبد الرازق تأجيل نظر الموضوع . .

أجابه سرى باشا فى عنف :

يجب أن نبتّ فى الموضوع اليوم . ومن لا يعجبه ذلك فله أن يتصرف كما يشاء .

وهذا التهديد لوزير من حزب الأحرار الدستوريين الذى يشترك فى الوزارة – يبين أن حسين سرى لا يهتم كثيراً ببقاء الائتلاف الوزارى بقدر ما يهمه قطع العلاقات مع فيشى .

تدخل الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف . قال :

– إن لمصر فى فرنسا مئات من الطلبة المصريين يدرسون هناك ، ويجب تأمين معاشهم . . وأن نرعى مصلحتهم . . وأن نؤمن عودتهم . . وقطع العلاقات يضر بهؤلاء الطلبة ضرراً بليغاً .

أجاب سرى باشا :

اطمئن إن أبناءنا هناك لن يصيبهم مكروه . وسنرعى مصالحهم خير رعاية .

وأثيرت اعتراضات أخرى للصلة القديمة بين فرنسا ومصر ولأن بوتسى على صلة طيبة بالجميع .

وطرح سرى الموضوع للتصويت . .

. . . امتنع هيكل ومصطفى عبد الرازق عن التصويت ، ووافق باقى الوزراء على قطع العلاقات مع فيشى . . برغم كل الاعتراضات !

وانتهى الاجتماع بقرار من مجلس الوزراء يعلن قطع العلاقات .

وأبلغ القرار للسفير البريطانى .

* * *

. . لم يكن هذا القرار مفاجأة لأحد إلا للملك فاروق الذى كان فى رحلة بالبحر الأحمر . .

وخاف أحمد حسنين رئيس الديوان من أن يؤدى هذا القرار إلى أزمة بين الملك والوزراء من ناحية ، وبين الملك والسفير من ناحية أخرى فاقترح – كحل وسط – وقف العلاقات ، لا قطع العلاقات . . وفعلا تظل العلاقات بين مصر وفرنسا – حكومة فيشى – موقوفة . . لا مقطوعة .

وعندما عاد فاروق من رحلته ثار وقال :

– أنا وحدى الذى أملك قطع العلاقات . . هذه سلطة الملك . . فالسفراء يمثلون الملك .

وطلب فاروق استقالة وزير الخارجية صليب سامى بك . . واعتكف الوزير فى بيته حتى يبت فى الاستقالة .

وأصر رئيس الوزراء على بقاء الوزير فقد كان يعلم أن بريطانيا معه . . وأن السفير البريطانى يؤيده .

قال رئيس الوزراء :

– سأستقيل تضامناً مع وزير الخارجية .

وكان سرى باشا يعلم أن الإنجليز هم الذين طلبوا قطع العلاقات ، وأنهم سيؤيدونه حتماً ضد الملك .

إن الرجل يعتمد على السفير البريطانى تماماً فى أزمته ضد الملك . .

إن حسين سرى زوج خالة الملكة فريدة يبلغ السفير البريطانى بتطورات الخلاف مع الملك . . وهو يستعدى السفير على الملك فى وضوح تام .

ولقد ظل دور حسين سرى مستتراً خافياً حتى اليوم . . ولكن الوثائق تفضحه . .

السفير يعرف بالأزمة يوم ٢١ يناير . . ويبلغ بها لندن . . وتكون هذه الأزمة وما تبعها هى المقدمة لأحداث ٤ فبراير .

والحقيقة أن السبب المباشر كان مسألة قطع أو وقف العلاقات مع حكومة فيشى ، ولكنها امتدت لتصبح ضرورة التخلص من عبد الوهاب طلعت الذى اتهمه الإنجليز بأنه رجل على ماهر فى القصر . . وكذلك الإيطاليين من رجال الحاشية .

إن حسين سرى ينقل إلى السفير البريطانى السير مايلز لامبسون ما جرى بينه . . أى بين رئيس الوزراء وفاروق . . ثم يقول للسفير بالحرف الواحد :

« هذا الولد – فاروق – جبان جدًّا . . ويجب إخافته من حين إلى حين . . » .

وتروق الفكرة للسفير ويحاول أن يختبر ردّ فعلها فى لندن ، فيبعث لحكومته مساء ٢١ يناير ١٩٤٢ أى بعد أسبوعين من قرار قطع العلاقات قائلاً :

« لم تبد لى الفكرة مشجعة . هل يجب أن نخيف الولد – الملك – على فترات .

وإذا كان الأمر كذلك فإن صبرنا سينفد – ألا يكفى ما حدث فى إيران لتذكير الملك بما حدث عندما يزداد الضغط على أعصابنا » .

يقصد حكاية عزل الشاه ونفيه .

ويقول سرى :

– لقد عشت لحظات كالجحيم ومررت بوقت صعب . وأريد صبراً واحتمالا ومساعدة على مهمتى !

ويرد لامبسون :

– ألا ترى كيف صبرنا واحتملنا حتى جاءتنا هذه اللحظة . إننا لا نريد أن نلتقى بالمتاعب فى منتصف الطريق . ولكن إذا جاءتنا المتاعب عمداً فإنى لا أتردد فى أن أنصح حكومتى بالطريقة التى نواجه بها الموقف .

ويعقد السفير اجتماعاً لمجلس الحرب . يحضره الجنرال ستون القائد البريطانى لمنطقة الشرق الأوسط . . ورئيس البعثة العسكرية البريطانية فى الجيش المصرى . . ووزير الدولة البريطانى فى الشرق الأوسط . . إلخ .

ويطرح السفير اقتراحه . .

« إن الوقت مناسب لتلقين الملك فاروق درساً . إذا لم نتصرف بحسم فسنلقى متاعب أسوأ فى المستقبل » .

ويتساءل الجنرال ستون :

– إن القوات كلها مشغولة . ويجب أن نتجنب ما أمكن استخدام القوة لأننا سنحتاج إلى قوات إضافية كثيرة .

ولكن ينتهى الاجتماع بالموافقة على اقتراح السفير . . ويقول مجلس الحرب :

« حتى لو قامت اضطرابات . وتطلب الأمر تدخل القوة العسكرية فإن المخاطرة ليست كبيرة . وسيخضع الملك فاروق » .

وتطير برقية بهذا كله إلى الحكومة البريطانية يوم ٢٢ يناير أيضاً . . فإن السفير يريد تفويضاً من حكومته ليتصرف !

* * *

وفى نفس اليوم . . وعلى وجه التحديد فى الثانية والدقيقة ٤٠ بعد الظهر يبعث السفير ببرقية أخرى لحكومته قال :

« إن على ماهر خلق لنا كل هذه الدسائس . هو الذى أوحى للملك فاروق بطرد وزير الخارجية وعزل حكومة سرى . لأنها تضحى بحقوق المصريين لبريطانيا العظمى . وأن قرار قطع العلاقات مع حكومة فيشى يعتبر رمزاً لهذا الضعف .

إن الملك (فاروق) يتعرض لضغط عنيف ليستبدل سرى بحكومة أخرى يوجهها على ماهر من وراء ستار . وشعارها سيكون « تنفيذ المعاهدة حرفيًّا بلا خضوع للإنجليز » . . ومن الأسماء المقترحة : الإبراشى ومحمد محمود خليل » .

ولا يجد السفير مفرًّا من الاجتماع برئيس الديوان أحمد حسنين باشا . وهذه هى النتيجة :

« برقية رقم ٢٩٠

بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٢

من السير مايلز لامبسون

إلى وزارة الخارجية

عاجل

١ – قضيت ساعة ونصفاً مع حسنين الليلة . أبلغته بخطورة الموقف ومدى تورط الملك .

٢ – ورواية حسنين هى كما يلى :

إن الملك من حقه طبقاً للدستور أن يوافق على قطع العلاقات بأية دولة أجنبية وقد اتخذ قرار قطع العلاقات مع فيشي فى أثناء غيابه – كان يقوم برحلة طويلة على ساحل البحر الأحمر – ولم تتم استشارة جلالته . ولدى عودة جلالته إلى القاهرة ، قام على ماهر وأعوانه بتصوير الأمر لجلالته على أساس أن حقوقه كانت موضع تجاهل . وقد حصلت على المذكرة المكتوبة من على ماهر ومحمود خليل . وكانت هذه أشد النقاط حساسية لدى جلالته .

ونتيجة لذلك ، استدعى جلالته رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووجه لهما لوماً شديداً لتجاهل موافقة جلالته .

ويقول حسنين إن جلالته بهذا التصرف كان على حق من الناحية الدستورية .

ولكن حسنين أضاف يقول إنه حاول أن يجعل جلالته يدرك أن العلاقات الإنجليزية المصرية مرتبطة حتماً بمسألة قطع العلاقات مع فيشي بصفة خاصة . وقال إنه عجز عن منع جلالته من توجيه اللوم العنيف الذى وجهه إلى رئيس الوزراء ووزير الخارجية .

ومن ناحية أخرى فقد كان على ماهر – ويؤمن حسنين أن يد على ماهر لها علاقة بالموضوع كله – يرى أن ثمة فرصة من الطراز الأول لإحداث شقاق بين الملك ورئيس الوزراء بأمل وقوع تغيير فى الحكومة قد يكون لصالحه . وقد دفع على ماهر الملك فى هذا الاتجاه .

وقال حسنين إنه مادام حسين سرى أو وزير الحربية لم يخرجا من الحكومة ، فليس هناك أى خطر بالنسبة لنا ، نظراً لأن قرار قطع العلاقات مع فيشي قائم .

٣ – لم أحاول تخفيف كلماتى وقلت إنه مهما كانت الاعتبارات الدستورية – وهذه نقطة يجب أن أبحثها – وحتى إذا كان حسين سرى قد أخطأ من الناحية الفنية – وهو أمر لا أستطيع إبداء وجهة نظر فيه – فإنه يتضح لأقل الناس ذكاء أن مواجهة استقالة أحد الوزراء ، أو إحدى الوزارات – بسبب هذه المسألة بالذات – سوف يدفع بنا مباشرة وتلقائياً إلى الصورة . وبعبارة أوضح ، فقد كان ذلك دليلا إيجابياً على أنه يقوم بخدمة الملك مستشارون لا يصلحون للقيام بمهمتهم .

وقد أثبت ذلك أيضاً أن الملك نفسه لا ينهض بمسئولياته .

وحتى حسنين نفسه – باعترافه لم يكن حاسماً بدرجة كافية .

أصبح الأمر ظاهراً فى ضوء تفسيره – وهو أن هناك مراكز تأثير سيئة فى القصر يجب التخلص منها لأن هذا الوقت ليس مناسباً للمخاطرة بحدوث أعمال شغب طائشة من جانب الملك الشاب العنيد .

واستمر حسنين يتوسل بإصرار قائلاً : إنه لم يحدث أى ضرر ، وإنه لا ينبغى أن ننظر إلى الأمر بخطورة مبالغ فيها .

وقد رفضت أن أتراجع وقلت إننى أبلغت المسألة كاملة ، وأتوقع تفويضاً فى أى وقت بأن أتولى الأمر وأصر على تطهير القصر من العناصر السيئة . بل إننى أمضى إلى أبعد من ذلك .

أليس من المنطقى . فى ضوء ما كشفه حسنين ، أن يشمل ذلك على ماهر حيث إنه يبدو أن جميع المؤامرات والحوادث ترجع إلى نفوذه الشرير . إن هذا كما نعلم ينطوى على مصاعب خطيرة منعتنا من العمل فى الماضى .

٤ – أشرت بعد ذلك إلى الأنباء التى تحدثت عن احتمال تغيير وزارى . وأوضحت أنه لايجب مواجهتنا بأية مفاجآت . فإذا كان على ماهر وأصدقاؤه قد حاولوا استخدام مسألة فيشى لطرد حسين سرى . وقد اعترف حسنين بذلك . وتعهد بأنه بقدر ما يملك من سيطرة على الأمور . فإنه لن يحدث أى تغيير دون موافقته .

وأضاف يقول إن كافة الشلل السياسية مجمعة على عزل سرى . . تأمل كل منها أن تحل محله . لقد حاولوا ذلك فى مسألة القطن . وحاولوا فى مسألة القمح . وهم الآن يحاولوا فى مسألة فيشى .

وعدد حسنين أسماء على ماهر ، ومحمود خليل ، ونشأت ، والنحاس ، وأحمد ماهر ، باعتبارهم الرجال الذين يتطلعون إلى مقعد رئيس الوزراء» .

* * *

وإذا كان مجلس الحرب قد اجتمع فى القاهرة فإن حكومة الحرب تجتمع فى لندن فى السادسة من مساء الخميس ٢٢ يناير ١٩٤٢ لبحث الموقف على ضوء برقيات السفير البريطانى ولقاءاته بالمسئولين المصريين . . ومذكرة وزير الخارجية البريطانية نفسه المقدمة إلى الحكومة .

ولم يكن مجلس الوزراء البريطانى يجتمع بكامل أعضائه لمناقشة كل الأمور . لقد اختار تشرشل رئيس الوزراء بعض الذين يتولون الوزارات الهامة وشكل منهم حكومة حرب تجتمع مرتين تقريباً كل أسبوع لاتخاذ قرارات عاجلة . وكان يحضر هذه الاجتماعات الوزراء الذين تقتضى الضرورة الاستعانة بهم .

وقد رأس اجتماع ٢٢ يناير تشرشل ، كما حضر ستة من وزراء حكومة الحرب ، و ٨ من الوزراء الآخرين ، وآلان بروك رئيس أركان حرب القوات الإمبراطورية .

وكان فى جدول أعمال المجلس ١١ موضوعاً ، أولها – كالمعتاد – العمليات العسكرية ، ثم مشاكل الشرق الأقصى ، والدومينون ، وشمال إيرلندا ، وبورما . أما الموضوع رقم ٦ – فى

جدول الأعمال – فهو الحالة الداخلية فى مصر.

ويقول نص محضر حكومة الحرب فى الجزء الخاص بمصر.

قال وزير الخارجية أنتونى إيدن : إنه منذ طلب وزير الخارجية المصرى ، بايعاز منا ، من ممثل حكومة فيشى بالقاهرة مغادرة البلاد ونتيجة لهذا العمل – فقد تعرض الوزير للوم شديد من جانب الملك فاروق.

ويعتقد سير مايلز لامبسون أن هذه المسألة ينبغى إثارتها مع الملك . ويجب أن نطلب منه فى نفس الوقت طرد بعض العناصر غير المرغوب فيها من أفراد حاشيته.

وقد أوصت السلطات البريطانية فى مصر باتباع هذا الطريق لأنها تعتقد أن الملك سيوافق على طلباتنا.

وقد وافق وزير الخارجية نفسه على ذلك . ولكنه رأى تحذير مجلس الوزراء فلا يزال هناك احتمال وقوع متاعب.

وقد قررت حكومة الحرب :

تكليف وزير الخارجية بأن يطلب من السير مايلز لامبسون أن يتصرف بالطريقة المقترحة.

* * *

وهذا القرار فيه اعتراف صريح بأن السفير البريطانى هو الذى طلب من حسين سرى قطع العلاقات . . وأن حسين سرى ومجلس وزرائه وافقوا على ذلك . . بقى بعد ذلك أن يأخذوا رأى القصر. . فلما اعترض ثارت الأزمة وتدخلت حكومة الحرب . . ولكن التفسير ليس هو كل شىء . . إن أهم ما فى هذا القرار أن السفير البريطانى أعطى السلطة ليطلب طرد الإيطاليين من القصر.

* * *

وحكاية الإيطاليين فى قصر فاروق . . قديمة تكشف عنها هذه البرقية :

مذكرة

مقدمة من وكيل وزارة الخارجية البريطانية المساعد موريس بيترسون إلى وزير الخارجية.

بتاريخ ٢٤ يناير ١٩٤٢.

إن النفوذ الإيطالى والمحسوبيات غير المرغوب فيها كلها قصص قديمة فى تاريخ القصر فى مصر.

وقد اضطررنا عام ٢٦ إلى طرد نشأت باشا . وأقدمنا على عمل مماثل ضد الإبراشى عام ١٩٣٤ – ١٩٣٥.

ورأيى فيما يتعلق بالحالة الراهنة أن أساليب سير مايلز لامبسون خاطئة .

إن أسلوب إرسال برقية إلى لندن بعد كل مقابلة - وهى برقيات يتعقبها المصريون إلى مكتب التلغرافات - ليس هو الأسلوب السليم .

فى مصر بالذات ، من بين جميع البلاد ، يكسب الرجل الذى يوجد فى الموقع ، والذى يتصرف أولا ثم يرسل البرقيات بعد ذلك ، وهذه ميزة تتمثل فى أن المصريين أنفسهم يقتنعون بأنه مطلع على تفكير حكومته . ويتمتع بثقتها دون أن يحتاج إلى إجراء مشاورات .

ولكن ينبغى بطبيعة الحال أن نتصرف فى برقيات سير مايلز لامبسون مادامت قد وصلت إلينا .

وهنا . وبعد الحديث مع مستر سكريفنر - مدير الشئون المصرية فى وزارة الخارجية البريطانية - فإنى أشعر أن أهم شىء هو تخليص السفير من مسألة قطع العلاقات الدبلوماسية مع فيشى وجعله يهتم بذلك الأمر ، غير المرغوب فيه ، وهو إيواء الإيطاليين فى القصر ، والاحتفاظ بموظف مصرى - عبد الوهاب طلعت - المعتقد أنه وافق أو ساعد على توظيف الإيطاليين ، وذلك مع استخدام مسألة فيشى لمجرد إيضاح كيف يمكن استغلال هذا الموقف لإثارة أزمة خطيرة لا يمكن احتمالها من حادث تافه نسبيًّا .

والواقع ، ومهما يقوله الدستور المصرى ، وإنى أشك فى أن له تأثيراً مباشراً . فمن الواضح أن رئيس الوزراء كان مخطئاً فى عدم إبلاغ الملك بقرار الحكومة قطع العلاقات مع فيشى . ولكن سير لامبسون ، ربما يشعر بأنه ليس من المناسب أن نشير سواء للملك أو لرئيس الوزراء بوجهة نظرنا فى هذه النقطة .

* * *

لا مفر أمام هذه الوثيقة من أن نقلب صفحات التاريخ بحثاً فى عهد الملك فؤاد ، وما كان يجرى فيه . فإن مذكرة وكيل الخارجية البريطانية فيها اعتراف . . وإلحاح على أن ما يجرى فى قصر فاروق يجب أن يخضع لبريطانيا تماماً كما كان الحال فى عهد الراحل . . أبيه ! .

إن وكيل الخارجية يعترف بصراحة لوزيره أن بريطانيا هى التى طردت حسن نشأت باشا رئيس الديوان بالنيابة من منصبه . . وهى التى طردت محمد زكى الإبراشى باشا ناظر الخاصة الملكية من منصبه أيضاً .

وكان الناس فى عهد فؤاد يطلقون على نشأت لقب « الملك الصغير » إشارة لأنه ظل الملك فى البلاد . . وعلى العباد .

ووصل الأمر إلى الحد الذى جعل عبد العزيز فهمى باشا رئيس الأحرار الدستوريين يردد

فى خطبه عبارة أصبحت مشهورة .

« حنانيك يانشأت » .

وخطب عبد العزيز فهمى فى تلا فى نوفمبر عام ١٩٢٥ يقول : « إن حسن نشأت يساوم على الرتب ، ويتناول أثمانها بحجة مساعدة جمعية الحشرات » .

وفى مذكرات سعد زغلول صفحات كثيرة يتحدث فيها سعد عن نشأت الذى حارب ثروت ... وحارب سعداً وأسس ضد سعد حزبا للملك سماه حزب « الاتحاد » .

واضطر الإنجليز لتخفيف الضغط الشعبى ، وحتى يظهروا للأمة وكأنهم ينقذونها من القصر ورجاله ، إلى أن يطلبوا من أحمد فؤاد طرد نشأت ، فعينه وزيراً مفوضاً فى مدريد . وكان الطرد بواسطة المندوب السامى اللورد جورج لويد .

ويشاء القدر أن يكون نشأت فى هذا الوقت – أى فى يناير ١٩٤٢ – سفيراً لمصر فى لندن ، لا يعلم بأمر هذه البرقيات ولا المذكرات .

وسنجد فى بعض الوثائق أن النحاس يصرح للسفير البريطانى قائلاً :

– قل لهم لا تصدقوا نشأت أبداً . إنه لا يزال رجل القصر . . إنه يمثل (فاروق) ولا يعبر عن رأيى أبداً . . !

* * *

أما محمد زكى الإبراشى باشا ناظر الخاصة الملكية فى عهد فؤاد . . فقد ساعد على تنمية الثروة الملكية الخاصة مقابل تدعيم نفوذه فى القصر . . وتدخل فى شئون الحكم حتى أصبح مثل نشأت ولكن فى فترة أخرى من التاريخ .

والغريب فى حكاية محمد زكى الإبراشى باشا أنه قلد حسن نشأت باشا فى كل شىء . . وكان يخلفه فى المناصب التى تولاها .

كان وكيلاً مساعداً لوزارة الداخلية فى عهد سعد زغلول ، فاتهمه الأحرار الدستوريون بأنه أدار الانتخابات لغير مصلحتهم ، فساعد مرشحى الوفد . . أو على الأقل لم يساعد الدستوريين .

وعندما استقال سعد انضم الإبراشى إلى القصر ضد سعد ، فعين ناظراً للخاصة الملكية منذ عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٣٤ .

وقد خلف نشأت باشا فى وقت من الأوقات فى منصب وكيل وزارة الأوقاف . . وفى وقت آخر خلف نشأت باشا فى عمله كمندوب للقصر فى دوائر الوزارة للبحث عن مصادر لزيادة ثروة الملك أحمد فؤاد .

واتسع نفوذ الإبراشى فتدخل فى شئون الإدارة والوزارة . . حتى أصبح المستشار السياسى للملك ، ونفوذه على الملك لا ينازعه فيه أحد .

ويتدخل السير موريس بيترسون المندوب السامى بالنيابة فى أواخر عام ١٩٣٤ – فى أثناء سفر السير مايلز لامبسون فى إجازة – لعزل الإبراشى من منصبه كناظر للخاصة الملكية . . ولكن سوء الحالة الصحية للملك فؤاد حال دون عزله من ناحية . . وحد من نشاطه السياسى من ناحية أخرى .

لما شفى الملك واستقالت وزارة عبد الفتاح يحيى باشا وأصبح أحمد زيور رئيساً للديوان الملكى . . تدخل السير مايلز لامبسون فى أبريل عام ١٩٣٥ لعزل الإبراشى فاستقال وعينه الملك فؤاد سفيراً لمصر فى بروكسل .

وفى سنة ١٩٤٠ يختاره على ماهر ليكون حارساً عاماً على أموال الإيطاليين . . فإن للقصر رجاله لا يتخلى عنهم . . ولا يتخلون عنه . .

وفى عام ١٩٤٢ نجد اسم الإبراشى يلمع من جديد كأحد مرشحى القصر لرئاسة الوزارة . . !

* * *

ولم يعترض أحمد فؤاد على عزل نشأت أو الإبراشى أو غيرهما من المصريين .

أما فاروق فقد وافق على أن يعتقل الإنجليز بعد ذلك على ماهر رئيس ديوانه السابق ورئيس وزرائه السابق ، وتساهل مع الإنجليز فى تعيين أو عزل المصريين . . أما بالنسبة للإيطاليين فنجد أنه تمسك بهم حتى النهاية . .

* * *

وتشتد الأزمة بين الملك ورئيس وزرائه حسين سرى باشا . .

وأصبح السفير البريطانى طرفاً رئيسياً فى الأزمة . فقد أعطى صلاحيات جديدة من حكومة الحرب ليقف فى وجه الملك ، ويمنع استقالة سرى ، وينتهز الفرصة لطرد بوللى وجارو ، ويحد من نفوذ على ماهر . . ويطرد عبد الوهاب طلعت رجل على ماهر فى قصر عابدين . . !

والسفير يعرف ويتابع كل التطورات من خلال لقاءاته المتعددة برئيس الديوان وبرئيس وزراء مصر ، وهو ورئيس الوزراء يزمعان تهديد الملك بتوجيه تهمة الخيانة إليه لاتصاله بحكومة فيشى أو بالألمان . .

برقية رقم ٣٦٢
بتاريخ ٢٦ يناير ١٩٤٢
من السير مايلز لامبسون
إلى وزارة الخارجية فى لندن
عاجل جداً

١ – اجتمعت برئيس الوزراء وموقفه واضح . أنه لن يوافق على استقالة وزير الخارجية . وما لم يعد الوزير إلى ممارسة كافة مهام منصبه ، فإن رئيس الوزراء سيستقيل ظهر الأربعاء ٢٨ يناير » وكان وزير الخارجية قد أوقف بإيعاز من الملك عن حضور اجتماعات مجلس الوزراء خلال الأيام الثلاثة الأخيرة » .

٢ – قام رئيس الوزراء بتلخيص سير الأحداث كلها منذ البداية لحسنين كى ينقلها إلى الملك .

. . . كيف تم القضاء على وسائل اتصال القصر بالعدو الواحدة بعد الأخرى حتى لم يعد باقياً سوى مفوضية فيشى . وسيسجل رئيس الوزراء هذه الرواية فى خطاب استقالته ليوضح كيف أنه منذ توليه رئاسة الوزارة حاول جاهداً إنقاذ الملك فاروق حتى لا يتهم – الملك – بالخيانة . وسيوضح رئيس الوزراء أنه لن يضحى بأحد وزرائه لأنه قام – بناء على تعليمات منه – بالقضاء على آخر صلة مع العدو .

٣ – وأضاف : إن القصر هو الذى أثار هذه الأزمة ، لأن القصر تعمد إفشاء الأنباء . وكان الوزير الفرنسى المفوض هو أول من كشف للصحفيين منذ أسبوع عن تدخل الملك .

٤ – وقلت لفخامته إننى تلقيت من قبل تفويضاً منكم بأن أطلب إبعاد الإيطاليين وعبد الوهاب طلعت من القصر .

والآن طرأت من جديد ، وفى أكثر الأشكال حدة ، مسألة استقالة الحكومة التى كان حسنين نفسه قد أكد لى – يوم الأربعاء – أنه تمت تسويتها .

وبالنسبة لى ، فإننى لا أجد بديلا إلا إثارة الموضوع عندما أجتمع بالملك فاروق وأطرح ثلاث نقاط هى :

(ا) الإيطاليون . (ب) عبد الوهاب طلعت .

(جـ) استمرار هذه الوزارة فى الحكم .

ولكن التعليمات التى لدىّ لا تشمل النقطة الأخيرة . وإنى آمل أن تشملها عندما تتلقون تقريرى .

٥ – ويبدو لى أن العمل الذى أقدم عليه الملك أمر لا يمكن السماح به مهما كان يحس بأنه بسيط ، وآمل أنكم ستفوضوننى بسرعة بضم هذا الموضوع إلى الرغبات التى سأبديها لجلالته صباح يوم الأربعاء .

٦ – سألنى رئيس الوزراء عما إذا كنا مستعدين لضمان تنفيذ أى خط متشدد نتخذه .

أجبت بأنه ليس لدى شك فى هذا الشأن . ولكننى لا أعتقد أن الملك (فاروق) عندما يواجه بخطورة المسألة – سيكون تحت تأثير تضليل يصل به إلى حد الرفض . وسلطاتنا العسكرية على علم كامل بطبيعة الحال بالموقف الأخير ، وبكافة تطوراته منذ البداية .

وقد سألت رئيس الوزراء عن رأيه فى الأثر الذى يمكن أن يحدث فى البلاد أى عمل قوى نتخذه ، إذا اضطررنا إلى ذلك ، وهو ما نأمل جميعا مخلصين ألا يحدث ؟

أجاب رئيس الوزراء :إن التأثير سيكون سيئاً ، لأن الأنباء من الصحراء الغربية لسوء الحظ ليست طيبة ، وقد ادعى راديو ألمانيا – اليوم فقط – أنه تم الاستيلاء على ١٤٦ من دباباتنا ، الأمر الذى كان له تأثير سيء على الرأى العام المصرى سليم النية ، مهما كان النبأ غير صحيح .

٧ – أرجو أن أتلقى تعليمات عاجلة . وما لم أتلق هذه التعليمات فسأتصرف بالطريقة سالفة الذكر ، صباح الأربعاء .

وتعرض مذكرة وكيل الخارجية على الوزير ثم تناقشها حكومة الحرب . . ويبدأ البحث عن حل .

ويتلقى السفير البريطانى أوامر محددة . . أن يمنع استقالة حسين سرى بأى ثمن .

برقية رقم ٤٦٧ :

بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢

من حكومة الحرب

إلى السير مايلز لامبسون

عاجل جداً

١ – إشارة إلى برقياتكم أرقام ٣٦١ و ٣٦٢ – بتاريخ ٢٦ يناير بشأن التهديد باستقالة الحكومة المصرية .

إنى أوافق على أننا يجب أن نؤيد رئيس الوزراء فى نزاعه الحالى مع الملك .

إنّا لا نستطيع السماح بإكراه رئيس الوزراء على الاستقالة بسبب هذا النزاع .

٢ – إننا نترك الأمر لحسن تقديرك تماماً كى تتصرف بما ترى أنه الأفضل ، بشرط المحافظة على المبدأ .

٣ – إن وزير الخارجية الحالى ليست له قيمة كبيرة جداً . ولكن إذا كانت استقالته ستؤدى إلى :

(ا) استقالة رئيس الوزراء .

(ب) ظهور الأمر بمظهر انتصار الملك فاروق .

فإنه لا يمكن السماح باستقالة الوزير . وإذا كانت الاستقالة ستؤدى إلى كلا الأمرين – كما يبدو من برقيتكم – فلابد من استبعادها .

ويلتقى الملك فاروق . . ورئيس وزرائه حسين سرى باشا . . وجهاً لوجه . إن رئيس الوزراء يستند فى حديثه إلى تأييد السفير البريطانى وحكومة الحرب البريطانية ونتيجة الحديث ومضمونه يعرضان دائماً على السفير حتى تكون لندن دائماً فى الصورة . . ولأن رئيس الوزراء مدين للندن ببقائه فى رئاسة الوزارة على حد تعبير سرى باشا نفسه لفخامة السفير !

برقية رقم ٣٨٩

بتاريخ ٢٧ يناير ١٩٤٢ .

من السير مايلز لامبسون

إلى وزارة الخارجية

عاجل

١ – فيما يلى رواية رئيس الوزراء – بكلماته نفسها – عن حديثه مع الملك فاروق فى المقابلة التى تمت بينهما فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم . .

٢ – لقد أبلغ الملك فاروق رئيس الوزراء بمضمون حديثى مع حسنين . .

بدأ الملك القول بأنه على استعداد لإرضاء رئيس الوزراء ، وإن وزير الخارجية سيبقى فى منصبه .

ولكن جلالته طلب – محافظة على كرامته – أن يبقى وزير الخارجية فى فندق مينا هاوس – حيث يوجد الآن – ولكن مع مواصلة عمله كاملاً كوزير .

وطلب الملك مساعدة رئيس الوزراء فى مسألة كرامة جلالته . وتوسل إليه أن ينقذ الموقف .

وانتهز رئيس الوزراء الفرصة كى يقول لجلالته إنه مستشاره الوحيد . وينبغى أن يكون مستشاره الوحيد . وقال إن الأشخاص المحيطين بجلالته والذين يتظاهرون بإسداء النصح إليه – إنما يفكرون أولا ، وقبل كل شىء ، فى أنفسهم . ولا يحملون ولاء له . وذكر رئيس الوزراء على ماهر ، ومحمود خليل ، وعبد الوهاب طلعت بالاسم .

وقال رئيس الوزراء : برغم أنه لا يتفق مع رأى جلالته فى أن يتظاهر وزير الخارجية بالمرض مدة أسبوع ، فإنه سيحرص على تنفيذ ذلك حتى لا تتعقد المسألة . ولكن جميع الحقوق الطبيعية والمسئوليات الوزارية لوزير الخارجية يجب أن تبقى له .

ووافق جلالته على ذلك .

٣ – ثم جاءت النقطة الثانية ، وهى النقطة المتعلقة برغباتنا .

تحدث الملك طويلاً عن إخلاص رئيس الوزراء له . وطلب منه باسم هذا الإخلاص إنقاذ الموقف .

أجاب رئيس الوزراء أنه مستعد لأن يفعل ذلك ويحاول تسوية الأمر معنا بشرط ألا تكون هناك محاولات خداع جديدة فى المستقبل ، وأن يدرك جلالته أن أى ملك ليس من حقه أن يلعب بالنار :

١ - من أجل نفسه .

٢ – ومن أجل أسرته .

وطلب جلالته المساعدة لإخراجه من موقف يدرك خطورته الكاملة .

٤ – قال رئيس الوزراء إنه بين نارين . ولكنه انتهى إلى أننا – هو ونحن – يجب أن نعطى الملك (فاروق) فرصة أخرى . وأنه لا ينبغى إثارة الرغبتين اللتين طلبناهما فوراً . ولكن رئيس الوزراء «سيعمل على تنفيذهما باعتبارهما مسألة داخلية . . دون تدخلنا» .

وقال إنه واثق من أننا متلهفون مثله على تنفيذ رغباتنا بهدوء بدلاً من تدخلنا المباشر .

وكانت آخر كلمات رئيس الوزراء لى :

« اعطونى فرصة » .

٥ - قلت لرئيس الوزراء إن ما قاله لى أدى بوضوح إلى تهدئة الموقف بشكل ملموس . ولكن التعليمات التى لدى لا تزال قائمة كما سبق أن قلت لحسنين هذا الصباح . وأننى سأبعث إليكم بتقرير على الفور . وقلت له إنه مما يساعدنى على ذلك أن أعرف الوقت الذى يقدره للوفاء بتعهده لى بتنفيذ رغباتنا ؟

قال رئيس الوزراء إنه يخشى ألا يستطيع تحديد ذلك ، وقد يستغرق الأمر بعض لوقت . وأعرب عن أمله فى أن « ننبه » من حين لآخر .

٦ – قلت رداً على أسئلة رئيس الوزراء إننى لا ينبغى أن ألح الآن من أجل الاجتماع بالملك فاروق صباح غد . ولكن لماذا لم يفعل جلالته شيئاً لطيفاً يظهر به إخلاصه لنا – لحلفائه .

إننى لا أستطيع أن أتذكر عملاً واحداً – باستثناء هدية مالية صغيرة من جانب جلالته

منذ بدأت الحرب .

ولقد قلت لحسنين هذا الصباح إنني وكثيرين غيري نشعر بالاشمئزاز لهذا الموقف . لقد كان من السهل على جلالته أن يقدم على عمل ودي ما . لماذا مثلاً لا يعرض قصر القبة الذي لا يستخدم الآن ، ليعد كمستشفى عسكري بريطاني ؟ ومن المحتمل أننا لسنا في حاجة إليه . ولكن العرض سيكون لفتة طيبة .

٧ – تعليقي على هذا أنه من الأفضل الآن أن نصدق كلمات رئيس الوزراء ونلزمه بها ، ونرى مدى نجاحه في تنفيذ رغباتنا بإخراج الإيطاليين الذين يعملون في القصر « بما في ذلك بوللي » وعبد الوهاب طلعت .

هل توافقون على إبلاغه ذلك ؟

٨ – إن رئيس الوزراء يشكر كثيراً تأييدنا .

ويتكرر لقاء السفير برئيس الديوان . .

ويقول حسنين :

لماذا تربطون أنفسكم ببحثة ؟

. . يقصد الوزارة .

ويستمر حسنين :

– إن البلاد كلها ضدكم . .

يجيب لامبسون :

– إني مقيد بتعليمات حكومتي . . إننا نؤيد بإخلاص رئيس الوزراء لوزير الخارجية وارتباطه به . إن الموضوع الأساسي الآن هو حماية وزير الخارجية ، والرأي العام يعرف ذلك ويجب أن نربح نحن هذه القضية ونؤجل إخراج الإيطاليين من القصر بعد مهلة محددة .

ويعد حسنين السفير بأن الملك سيسترضي رئيس الوزراء !

وأمام هذا الوعد يذهب السفير البريطاني في رحلة صيد . وقبل قيامه بالرحلة يقول لحكومته :

« جاءني سري باشا وقال : دعنا ننتظر حتى عيد ميلاد الملك يوم ١١ فبراير » !

ولكن الأمور تتعقد فجأة .

ولا يستطيع أحد – بما في ذلك رئيس الوزراء – أن يتصرف إلا بعد استشارة السفير .

ومادام السفير في رحلة صيد فلابد من استشارة من يحل محله في السفارة . . مستر شون الوزير المفوض !

وبدلاً من أن يذهب سرى إلى مسترشون كما يفعل مع كيلرن . . فإنه يستدعيه إلى مكتبه . . وهذا هو الفرق الوحيد بين معاملة رئيس الوزراء للسفير ومعاملته لنائب السفير !

قال سرى لمستر شون :

– لقد التقيت بالملك . وقلت له إنى سأتحدث إليك – إلى الملك – كخالك – باعتباره زوجا لخالة الملكة لاكرئيس للوزارة .

وعلى الفور قام الملك « يقابلنى ويعانقنى ويشكرنى » .

ويستمر سرى يصف الموقف للمستر شون . . قلت للملك :

إن كل رجال القصر يضاعفون جهدهم ضدى . . على ماهر ورجاله . إنهم يحركون مظاهرات الطلبة . وإنى لا أتهم الملك بذلك . ولكنه لم يفعل شيئاً لوقفها .

وبالإضافة إلى على ماهر هناك الشوربجى – الوزير السابق – والشيخ المراغى . . شيخ الجامع الأزهر .

ويتهدج صوت حسين سرى قائلاً لشون :

– لقد عملت بإخلاص لتنفيذ المعاهدة لاحرصاً على مصالح بريطانيا وإنما من أجل مصر .

والآن سأستقيل يوم ٢ أو ٣ فبراير على الأكثر .

ويستدعى شون . . سفيره إلى القاهرة . . وفى نفس الوقت يبرق بكل التفاصيل إلى لندن .

وإذا كان رئيس الوزراء لا يتصرف إلا بعد استشارة شون . . فإننا سنجد أن الملك نفسه بعد عامين عندما أراد إقالة النحاس من الوزارة وكان السفير فى إجازة – استدعى مستر شون ليسأله الرأى ! ! فليس المهم أن يستشار سفير بريطانيا . . وإنما المهم أن يستشار ممثل بريطانيا على أى مستوى !

* * *

ويبقى سؤال حسين للإنجليز :

– لماذا تربطون أنفسكم بجثة ؟

يقصد وزارة حسين سرى كلها !